

الرؤية التربوية عند جون ديوي وعلاقتها بالمنهج البرغماتي

الكلمات المفتاحية: الرؤية ، جوي ديوي ، البرغماتي

م.د. محمد عبد مطشر

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

dr.mohammed.alame@gmail.com

الملخص

يعد ديوي "مثالاً لصحة النظرية القائلة بأن الانسان ثمرة البيئة التي يعيش فيها، فقد اجتمعت له من ميراثه الأبوي، والإقليم الذي نشأ فيه، والتربية التي تلقاها في حياته، والأساتذة الذين طلب العلم عليهم، والأمة التي كان فرداً من أفرادها وما لتلك الأمة من تقاليد ماثورة عن الحرية والديموقراطية، والعصر الذي ولد فيه وترعرع في أحضانها، والنزعات الفلسفية والاتجاهات العلمية التي أخذت تقوى وتشتد وبخاصة الاتجاه إلى التصنيع وما تبعه من مناداة العمال بحقوقهم ونزول المرأة إلى ميدان العمل، والتغيير المحسوس السريع الذي نتج عن ذلك في المجتمع والأخلاق والتربية والدين والفن-كل هذه العوامل ساهمت في تكوين جون ديوي فكان بذلك ثمرة هذه البيئة الثقافية والحضارية.

ومن العوامل التي أثرت في ديوي أفكار الفلاسفة والعلماء والمربين الذين اتصل بهم شخصياً أو عن طريق كتاباتهم، ومن أبرز من اتصل بهم وتأثر بأفكارهم : جورج موريس أحد أساتذته في الفلسفة ثم زميلاً له في التدريس في جامعة (ميتشجن) فعن طريقه تعرف ديوي على الفلسفة المثالية الهيجلية وقبل كثيرا من عناصرها بالتدريج ، إلا أنه بعد دراسته لنظرية التطور كما شرحها تشارلز دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م) ، وتوماس هاكسلي (١٨٢٥-١٨٩٥م) وغيرهما ، تحول إليها مفضلاً لها على الفلسفة الهيجلية، لأنها تتفق مع ميوله العلمية التجريبية إلا أن ذلك لم يمسخ أثر الفلسفة المثالية. ويتجلى بوضوح الاسم الذي أطلقه على فلسفته الخاصة المحددة وهو (الفلسفة المثالية التجريبية).

و تأثر ديوي أيضاً بأفكار تشارلز بيرس، ووليام جيمس اللذين كان لهما الفضل في تأسيس المذهب البراجماتي في الولايات المتحدة وبأفكار ستانلي هول، وبعده

أفكار: (روسو، وبستالوتزي، وهربارت، وفروبل)، وغيرهم من المرين وعلماء النفس المحدثين.

يهدف البحث الحالي: التعرف على الرؤية التربوية وعلاقتها بالمنهج البرجماتي عند جون ديوي.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لملائمته مع متطلبات البحث الحالي.

مشكلة البحث

مما لا شك فيه ان شهرة ديوي تربويا تفوق شهرته فيلسوفا، لكونه صاحب نظرية تربوية ثورية، ونجد ان اكثر مؤلفات ديوي تركز حول معالجة مسائل التربية وقضاياها، وهذا ما تدل عليه مؤلفاته مثل: (التربية والخبرة، الديمقراطية والتربية، عقيدتي التربية، المدرسة والمجتمع ومدارس المستقبل وغيرها) (الاهواني، ١٩٦٠: ٨٧).

ومن المعروف ان علاقة الفيلسوف بالتربية عموما قديمة في الفكر البشري، فالفلاسفة منذ القدم صرفوا جهدهم للتربية والتعليم باعتباره الميدان لتطبيق افكارهم الفلسفية سواء في اصلاح أوضاع مجتمعاتهم: (السياسية - الاقتصادية - الاجتماعية)، وكما نجدها عند افلاطون دعوة لإقامة مجتمعات فاضلة. (ابو الضبعات، ٢٠٠٩: ١٠٢)

يرى ديوي ان جميع الاشياء تستخدم من اجل التربية بقوله: (ان الفلسفة هي النظرية العامة للتربية)، ومن المعروف ان التربية، بالنسبة لكل مفكر هي اداة تقاس بها صحة افكاره الفلسفية وتلازمها مع متطلبات المجتمع الذي يعيش فيه

لاسيما ان البرجماتية فلسفة ارتبطت بالحياة وشدت على ما فيها من تجدد وتغير، فلا غرابة هنا ان نجد ديوي ينادي بالتجديد ويشعر بالحاجة الى تطبيق افكاره في مضمار الخبرة العملية حيث يرى ان جميع المبادئ في حد ذاتها معاني مجردة وهي لا تصبح امورا محسوسة الا فيما يترتب على تطبيقها من نتائج حقيقية (بدران واخرون، ٢٠٠٠: ٩٨).

يعد جون ديوي واحداً من أبرز وأشهر فلاسفة التربية، في كل دول العالم وليس في أمريكا فحسب، فهو أحد رواد الفلسفة البرجماتية واليه ينسب الفضل في بقاء واستمرارية هذه الفلسفة إلى عصرنا الحاضر إذ يعتبر من أكثر البرجماتيين إنتاجاً ونشاطاً في سبيل تدعيم هذه الفلسفة، وهو أيضا من أشهر أعلام التربية الحديثة على المستوى العالمي، ارتبط اسمه

بالتربية لأنه اهتم بتحديد الغرض من التعليم وأفاض بالحديث عن ربط النظريات بالواقع، من غير الخضوع للنظام والواقع والتقاليد الموروثة مهما كانت عريقة (زكريا ، ١٩٩٣ ، ٦٩).

وشهد المربون بأثره العظيم على فلسفة التربية ونظمها في العالم، وبرونه أساس كل إصلاح حققته التربية في القرن الحالي، كما أن آراء ديوي في التربية كانت جامعة للإرشادات الغنية بالمعاني منذ العصور الأولى، ونظراً للعمق التاريخي لآراء جون ديوي في الفكر التربوي العالمي، والانتشار السريع لأفكاره في مختلف دول العالم وتأثر العديد من النظم التعليمية بآرائه وأفكاره التربوية، أحببت في بحثي هذا إبراز أهم الجوانب التربوية لهذا المفكر التربوي الكبير من خلال تسليط الضوء على رؤيته التربوية وعلاقتها بمنهجه البرجماتي.

اهمية البحث

يعد ديوي "مثالاً لصحة النظرية القائلة بأن الانسان ثمرة البيئة التي يعيش فيها، فقد اجتمعت له من ميراثه الأبوي، والإقليم الذي نشأ فيه، والتربية التي تلقاها في حدثه، والأساتذة الذين طلب العلم عليهم، والأمة التي كان فرداً من أفرادها وما لتلك الأمة من تقاليد متأثرة عن الحرية والديموقراطية، والعصر الذي ولد فيه وترعرع في أحضانه، والنزعات الفلسفية والاتجاهات العلمية التي أخذت تقوى وتشتد وبخاصة الاتجاه إلى التصنيع وما تبعه من مناداة العمال بحقوقهم ونزول المرأة إلى ميدان العمل، والتغيير المحسوس السريع الذي نتج عن ذلك في المجتمع والأخلاق والتربية والدين والفن - كل هذه العوامل ساهمت في تكوين جون ديوي فكان بذلك ثمرة هذه البيئة الثقافية والحضارية". (الأهواني ١٩٦٨م، ص ١٩)

"وقد تشكل فكر ديوي أساساً عندما تأثر بفلسفة هيجل التي رآها في نهاية الأمر مجرد (تجريبية موضوعية)، لا تكشف عن دور الفكر البشري (مصطفى، ١٩٩٩: ١٢٧).

ومن العوامل التي أثرت في ديوي أفكار الفلاسفة والعلماء والمربين الذين اتصل بهم شخصياً أو عن طريق كتاباتهم، ومن أبرز من اتصل بهم وتأثر بأفكارهم: جورج موريس أحد أساتذته في الفلسفة ثم زميلاً له في التدريس في جامعة (ميتشجن) فعن طريقه تعرف ديوي على الفلسفة المثالية الهيجلية وقبل كثيراً من عناصرها بالتدريج، إلا أنه بعد دراسته لنظرية التطور كما شرحها تشارلز دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م)، وتوماس هاكسلي (١٨٢٥-١٨٩٥م) وغيرهما، تحول إليها مفضلاً لها على الفلسفة الهيجلية، لأنها تتفق مع ميوله العلمية التجريبية

إلا أن ذلك لم يمسح أثر الفلسفة المثالية. ويتجلى بوضوح الاسم الذي أطلقه على فلسفته الخاصة المحددة وهو (الفلسفة المثالية التجريبية) (جديدي، ٢٠٠٩، ٩٣).

و تأثر ديوي أيضاً بأفكار تشارلز بيرس، ووليام جيمس اللذين كان لهما الفضل في تأسيس المذهب البراجماتي في الولايات المتحدة وبأفكار ستانلي هول، وبعض أفكار روسو، ويستالتوتزي، وهريارت، وفرويل، وغيرهم من المربين وعلماء النفس المحدثين (الرشدان، ٢٠٠٢: ٤٠٩).

وتأتي أهمية البحث للإبراز الرؤية التربوية لجون ديوي لما حققته آراؤه ومنهجه البرجماتية من انتشار واسع على مستوى العالم الغربي والعربي على مر التاريخ، وهناك سببا آخر كوني متخصص في فلسفة التربية واحببت تسليط الضوء في بحثي هذا على احد اعلام التربية المعاصرة.

منهجية البحث: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي كونه الاداة الاساسية للبحث الحالي.

هدف البحث: يهدف البحث الحالي التعرف على: الرؤية التربوية عند جون ديوي وعلاقتها بالمنهج البرجماتي.

حدود البحث: يتحدد البحث الحالي: بالرؤية التربوية عند جون ديوي وعلاقتها بالمنهج البرجماتي.

رؤية ديوي للتربية

قبل التطرق الى مفهوم ديوي للتربية يمكننا تناول مدلولها اللغوي والاصطلاحي، وتتبع تطور مفهومها تاريخيا.

١. المدلول اللغوي للتربية

تشير اغلب المعاجم العربية والاجنبية الى معان متقاربة، ففي اللغة العربية تضمن التربية ثلاثة مدلولات: فأما الاول ومفاده ان التربية من الفعل "ربا؛ يربو" بمعنى زاد ونما وورد في معجم لسان العرب ربا الشيء يربو ربوا رباء زاد ونما. واربئته نمئته وقال الاصمعي: ربوت في بني فلان، أربو: نشأت فيهم، وربيت فلانا أربيه تربية وتربئته وربئته بمعنى واحد، وقد ورد

في قوله تعالى: "وما أوتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله، وما أوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون" (القران الكريم، سورة الروم: الآية ٣٩).

في حين يشير المدلول الثاني الى انها جاءت من الفعل "يربي" وزن يخفي ومعناه النشأة والترعرع القول الاعرابي: (فمن يك سائلا عني فأني بمكة منزلي وبها ربيت). واما المدلول الثالث فيدل على ان لفظ التربية جاء من الفعل "يرب" بوزن يمد وتعني اصلحه وتولى امره ورعاه، ولهذا فمدلولها اللغوي في اللغة العربية يظهر انها تتمحور حول النشأة والرعاية والاصلاح.

وعليه فإن التربية من الناحية اللغوية تعني النمو والزيادة والرعاية لا تختلف عما يشير اليه معناها عند جون ديوي في اعتبارها انها هي النمو والزيادة فيه.

اما في اللغة الاجنبية الفرنسية والانجليزية خاصة فإن التربية (Education) لا تخرج ايضاً عن المعنى الذي رسمه لها ديوي اذ تعني القيادة او التعليم كما تعني التلقين، ومنه يظهر التشابه الكبير مع المدلول اللغوي الانجليزي اذ تعني النمو والقيادة (علي الكبير: دت: ٧٤).

٢. المدلول الاصطلاحي للتربية:

يقدم لنا، (لالاند) في موسوعته الفلسفية مفهوم التربية بمعنيها العام والخاص وفي المعنى الاول يشير الى انها تقوم على تطوير وظيفة او عدة وظائف تطويرا تدريجيا عن طريق التجربة والتدريب وتظهر من عمل الفرد ذاته؛ فهي بهذا عملية متجددة. اما المعنى الخاص فيتمثل في عمليات اجرائية يتم بها تدريب الافراد عن طريق ابراز ميولاتهم وتشجيعهم على حمل عادات مجتمعهم، كما تعني تهذيب الحواس لدى الفرد في تقبل الاذراكات الحسية الجديدة لتتنظم مع باقي الظواهر النفسية لكل فرد. وبهذا المعنى تنطلق التربية من العام الى الخاص اي من المجتمع الى الفرد وتتجه نحو تهذيب الفرد وتنمية وظائفه الحسية والعقلية والنفسية، وحتى تؤدي وظيفتها على اكمل وجه تعتمد على التمرين فترية الولد مثلا تتطلب ترويض ملكاته وتهذيب سلوكياته ليصبح صالحا في المجتمع، فهي بهذا المعنى ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاخرى في تطورها وهي ليست حكرا على المؤسسات التعليمية كالمدارس بل تشمل جهود المربي من اعمال ومهن تمارس في الشارع وفي السجون وفي المؤسسات الاجتماعية وفي الروض وتخص الاطفال والمراهقين وكل

طبقات المجتمع بما فيها ذوي الاحتياجات الخاصة كالمعوقين والمتخلفين ذهنياً (خليل، ٢٠٠١: ١٣-١٤).

غير ان المعنى الذي قدمته ديوي للتربية كان نتيجة تفحصه لكل المفاهيم التي عرفها هذا المصطلح وكذا اهم النظريات التي تعلقته به عبر التاريخ، وللوصول الى ذلك المعنى فإنه من الاجدر تتبع تاريخ النظريات التربوية خاصة تلك النظريات التي تأثر بها ديوي سواء كان لها ناقد او مثنى، وتاريخها يعرض لنا صورتين او شكلين من معاني التربية فالصورة الاولى تظهر فيها انها نمو ينبع من الداخل والثانية على انها عملية تكوين تجري من الخارج، ولهذا يمكننا الوقوف على هذين الشكلين من خلال تتبع تطور مفهومها عبر التاريخ (صليبا، ١٩٧٣: ٢٦٦).

٣. تطور مفهوم التربية عبر التاريخ

أ- التربية في العصر اليوناني:

ان الحديث عن التربية عند الاغريق ارتبط كثيرا بأفلاطون وكانت محورا لكاتبه الجمهورية وتتميز التربية عنده بغايتها المثالية الكبرى وتبدأ بتهيئة الفرد لأن يصبح عضوا صالحا في المجتمع لتحقيق الغاية الكبرى وهي سعادة القصى والتي لا تتم الا بالتعاون مادام الانسان اجتماعي بطبعه مما يستوجب منه التعاون مع غيره لإشباع حاجاته، والتربية تقوم على اعداد الجسم والروح معا لبلوغ الجمال والكمال، ولهذا الاساس ركز "افلاطون" على تنمية الذوق الجمالي لدى الطفل عن طريق التربية الموسيقية، وتقوية الجانب البدني بالتركيز على التربية البدنية وبهذا يرى "افلاطون" ان العملية متكاملة ووظيفية بين الرياضة والموسيقى (ابو الضبغات: ٢٠٠٩: ٨٩).

وحتى تكون التربية سليمة مثلما يرى "افلاطون" لابد للشخصية الانسانية ان تحافظ على مبادئ كل نفس من الانفس الثلاثة فالنفس العاقلة ينبغي ان تكون لها الغلبة تستعين بالقوى الغضبية من اجل اخضاع القوى الشهوانية وقهر رغباتها، كما امن ايضا بأن هذه التربية هي الكفيلة بالوصول الى مجتمع عادل يلتزم فيه كل فرد بطبقته التي يعيش فيها، وذلك هو المجتمع الذي يدعو فيه "افلاطون" الى الغاء الزواج وهدم الاسرة وينادي بشيوعية النساء والاطفال، وعليه فالتربية الافلاطونية هي من روح فلسفته المثالية واما ارسطو فلا يختلف

كثيرا على استاذة اذ يرى ان الغرض من التربية هو حمل الفرد على تعلم كل ما هو مفيد وضروري في الحياة لتحقيق السعادة لذلك دعا الى اعداد العقل لاكتساب العلم والمعرفة (التل وشعراوي، ٢٠٠٧: ٣٩).

ب. لتربية في العصر الوسيط:

ان التربية في العصور الوسطى لا تخرج عن الطابع الايماني لدى المسيحيين والمسلمين. ففي الفكر المسيحي برزت المدارس الدينية التي تهدف الى اصلاح المجتمع من الفساد الوثني من خلال تعليم الناس للتعاليم الدينية القائمة على رفض الارستقراطية والتركيز على التربية الاخلاقية للوصول الى الحياة المثالية الراقية "وبشيد جميع المؤرخين انه خلال القرون الثلاثة الاولى من تاريخ المسيحية كانت الحياة بريئة لا يفسدها الطمع، ولا يشوبها الدنس وقد كانت هذه المثالية الراقية للحياة الخلقية مفروضة على كل عضو من اعضاء الكنيسة". وقد عكفت في البداية المدارس الديرية (الرهبانية) على تحقيق ذلك حيث كان لإباء الكنيسة الدور الاكبر في بروز الفكر المدرسي في القرون الوسطى ونمت تدريجيا وبلغت اوجها وامتد تأثيرها الى القرن السابع عشر حتى اصبحت تدرس في الجامعات الكبرى في انجلترا واطاليا وفرنسا و كان للمدارس التي اسسها رجال الدين وعرفت باسم المدارس الاسقفية شهرة كبيرة وبلغت ذروتها مع بداية القر الثاني عشر للميلاد وانتشرت في انجلترا ومانيا وكذا فرنسا. اما المدارس البلاطية فضمت اللاهوتيين والعلمانيين على حد سواء واشهرها مدرسة شارلمان والتي تدرس الفنون العقلية وتحتوي على الخطابة والجدل والهندسة والفلك والموسيقى وتهتم بتحصيل المعارف القديمة بما فيها الفلسفة، واستمرت طريقة تدريس الفنون العقلية مرتبطة بتلك المدارس حتى ما بعد القرون الوسطى بل وبقيت الى القرون المتأخرة (بدران وفاروق، ٢٠٠٠: ١٩)

وكان الهدف التربوي من التدريس اللاهوت في جل المدارس المسيحية هو معالجة الجانب الخلفي في الانسان، لكن حدث التغير على الموضوعات التربوية في المدرسة المسيحية التي بدأت بالتعليم الديني الذي يخص التعاليم والشعائر المرتبطة بالدين المسيحي ثم انتقلت الى العلوم الفكرية والاعتماد على التدريب الفكري في منتصف القرون الوسطى واخرها مما يدل

على التغير في الهدف التربوي من الهدف الروحي الى الهدف العقلاني (زكريا، ٢٠٠٤: ١٢٣).

اما بالنسبة للطابع للايماني لدى المسلمين، نجد التربية في الفكر الاسلامي مستلهمة من قواعد الدين الاسلامي وركائزه وغاياته، وكان التصور التربوي الذي يقدمه الاسلام عن التربية يتمشى وتصوره للطبيعة الانسانية واما ركائز هذا التصور فهي:

- يرتكز الفكر التربوي الاسلامي على التكامل بين الجسم والروح وبين الدنيا والآخرة لقوله تعالى "وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن الله اليك ولا تبغ فساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين". كما ترتكز التربية في الاسلام على الخبرة لأن حياة المسلم كلها خبرات مستمرة تهدف الى اصلاح المسلم وسعادته وهي تقوم على التفاعل والنشاط الانساني في المجتمع.

- تتميز الاهداف التربوية في الاسلام بالتكامل والمرونة وقابلية التحقيق وتتنوع بين اجتماعية وروحية وجسمية ودينية وخلقية وغيرها فهي تعني بجميع جوانب الطبيعة البشرية.

واما من حيث المنهج في التربية الاسلامية فإن اسسه متعددة بين النفسية والفلسفية بحيث تؤكد الفلسفة الاسلامية على التكامل بين الجوانب الطبيعية في الانسان، والتفاعل بينها وبين الظروف يقتضي تفعيل التفكير والعمل لحدوث التغير الهادف والبناء، هذه الامور يجب مراعاتها في بناء كل منهج تربوي، بالاضافة الى مراعاة الجانب النفسي والمتمثل في الاهتمام بالميولات والقدرات التي يتمتع به الاطفال (مرسي، ١٩٨٨: ٣٦).

والتاريخ الاسلامي يقدم نماذجاً عن المفكرين المسلمين الذين اولوا اهتماماً خاصاً بالتربية ونذكر هنا "ابو حامد الغزالي" الذي رتب منهج الدراسي تبعا لمراتب العلوم عنده فيجعل العلوم الدينية التي تشمل الاصول ويقصد بها القران والسنة واثار الصحابة، والفروع والمتمثلة في الفقه وما يتصل بعلوم اللغة والنحو والقراءات والتفسير فهي كلها مقدمة ومتممة ومكملة للاصول ويصفها بأنها علوم عين، اما العلوم فرض كفاية فتشمل الطب والحساب والصناعات

والعلوم الثقافية، كما اهتم بتدريس تلك العلوم لتربية الفرد على التعاليم الخلقية والدينية وكذا ما يرتبط بضروريات المجتمع (مرسي، ١٩٨٨ : ٥٤).

ج- التربية في العصر الحديث:

ان الحديث عن التربية في هذا العصر يقودنا الى الحديث عن اهم النظريات التربوية التي ظهرت فيه وكان لها الاثر الكبير على كل الفلسفات التربوية اللاحقة، ويحتل "جان جاك روسو" *مركز الريادة في الاهتمام بالتربية والتي اتخذها منهجا وطريقة لتحقيق فلسفته الطبيعية، حيث رأى ان الانسان يملك طبيعة حسنة رغم امتلاكه للطبيعة الجسمانية الشهوانية المنحطة، فهو يقابل بين نوعين من الميول بعضها يتميز بالانانية ويدفعه الى التضحية في سبيل ذاته وبعضها الاخر يصدر عن الشفقة وهي التي تدفعه الى التحرر والرغبة في ممارسة العدالة والاصلاح، ويرى في كتابه (اميل او التربية) ان التربية تأتي من الطبيعة او الناس او من الاشياء، ورغم اعترفه بهيمنة تربية الناس الا انه يدعو الى ضرورة تضافر التربيات الثلاث، ويؤمن بان خلق الرجل الطبيعي يتطلب العمل على عزل الانسان عن كل ما هو مستحدث عن طبيعته لأنها مصدر سلوكاته السلبية الدخيلة، ويقدم الوسيلة المثلى لتحقيق التربية الطبيعية هي النمو الحر الطليق لطبيعة الطفل وميولاته عن طريق الخبرة. فالتربية التي يدعو اليها تهدف الى الاصلاح الاجتماعي (المشعشع، ١٩٨٨ : ٣٢١).

اما التربية عند "جون لوك" * "John locke" فجاءت متماشية مع الطابع التجريبي الانجليزي، فهي تقوم على تدريب القوى الموجودة الفرد وتساعده على ادائه لأعماله وتتمثل القوى في الحفظ والادراك والتذكر بالاضافة الى القوى الجسمية المتنوعة، والطريقة التي تتم بها العملية تأخذ اسم الترويض الشكلي وتتركز على التمارين والتكرار للعمليات المراد تعليمها، كما ظهرت نظريات تربوية اخرى في هذا العصر ونذكر هنا نظرية "كانط" التي عكست مثاليته اذ تتركز على مجموعة من القواعد والوامر التي يجب ان يلتزم بها المرين والمتعلمين، ومنها تبرز القواعد المتعلقة بالمهارة من خلال القدرة على فعل ما نحتاج اليه، وقواعد التصرف الحكيم الذي يكفل السعادة، وكذا القواعد الاخلاقية او القانون الاخلاقي ويبدو ان "كانط" قد جعل من التربية فنا عمليا دون ابعاد الجانب النظري فهي فن وعلم معا، وهي ايضا خبرة منظمة يجب ان تتأسس على نظام عملي (التومي، ٢٠١١ : ١١١).

وكذا نظرية "هيغل" والتي ترى ان هدف التربية هو تحقيق الكمال المطلق، فركزت على النمو الكامل للفرد، واكدت على الالتزام بالنظام المدرسي لأن تحقيق هدف التربية يمكن ان تؤدي اليه المدرسة لو ساد الاحترام بين التلاميذ والمربين والقيام بالاعمال المنوطة بهم، وخارج النظام المدرسي يجب ان يكون المتعلمين احرار ليعرفوا اي الطرق افضل للاخذ بها، كما نجد نظرية "فروبل" والتي تركز على التربية باعتبارها انكشاف لقوى الاطفال والتي اشاد بها "ديوي" واكد على ما قام به "فروبل" في اهتمامه بالاستعدادات الطبيعية للطفل وحثه الناس على دراستها فكانت هذه الالتفاتة التربوية -في نظر ديوي- من اهم النظريات في تاريخ التربية والتي اسهمت في انتشار فكرة النمو والاعتراف بها (ديوي، ١٩٥٦: ٦٣).

التربية عند جون ديوي:

يقول "جون ديوي" بخصوص التربية: "ان الحياة في اصل طبيعتها تسعى الى دوام وجودها عن طريق التجدد المستمر، فهي اذن عملية التجدد بذاتها، فجيل يموت لقيام جيل اخر، وهذا النقل للتراث الثقافي الانساني من جيل لأخر يظهر العملية بأجملها على انه عملية تجدد تستطيع الحياة بواسطتها المحافظة على دوامها، فالتربية هي مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع ان ينقل معارفه واهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، وتعني في الوقت نفسه التجدد المستمر لهذا التراث وايضا للافراد الذين يحملونه، فالتربية هي عملية نمو وليست لها غاية الا المزيد من النمو، انها الحياة نفسها بنموها وتجدها (جديدي، ٢٠٠٩: ٢٤٩).

يؤمن ديوي بأن تكوين الخبرات لا يتم الى عن طريق حل المشكلات، وان لا خير في شيء لا يكون خبرة عند الطفل. وبالنسبة لطبيعة العملية التربوية يؤمن بأن التربية هي الحياة نفسها وليست مجرد اعداد للحياة، وبأنها عملية نمو، وعملية تعلم، وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة، وعملية اجتماعية، ولتكون التربية عملية حياة لابد ان ترتبط بشؤون الحياة، ولتكون عملية نمو وعملية تعلم وعملية اكتساب للخبرة لابد ان تراعي فيها شروط النمو وشروط التعلم وشروط اكتساب الخبرة، ولتكون عملية اجتماعية لابد ان تتضمن تفاعلا اجتماعيا ولا بد ان تتم في جو ديمقراطي وجو اجتماعي صالح (ديوي، ١٩٧٨: ٥٥).

فالتربية عند ديوي هي "الحياة" او انها "النمو" او انها "التوجيه الاجتماعي".

اضافة الى ذلك ان التربية عنده تتمحور حول الخبرة والتي تنتقل من جيل الى جيل بصورة مستمرة ونامية وبطريقة ديمقراطية وعلمية، وفي هذا يقول: "ان التربية هي ذلك التكوين او التنظيم الجديد للخبرة" اي بمعنى عملية نمو وحياة وتجديد للخبرة (الشيباني، ١٩٧١: ٣٩٤).

مفهوم فلسفة التربية عند "جون ديوي":

يقدم ديوي في كتابه "الديمقراطية والتربية"، الذي نشر عام ١٩١٦، فلسفته في التربية بالتفصيل، يرى في هذا الكتاب ان التربية هي العملية التي تعين الجماعات البشرية على استمرار وجودها. وتهدف تلك المجموعات الاجتماعية التي تتقدم بقصد الى تنوع اعظم من اهتمامات تشارك فيها بالتبادل، ولا تقتصر على المحافظة على عادات راسخة ومتأصلة. انها تكون ديمقراطية في المساواة، وتسمح بالحرية لأعضائها، ومصالحة عامة واعية، والمثال الديمقراطي هو اعادة بناء، او اعادة تنظيم التجربة، ويجب ان تستمر هذه العملية باستمرار في المجتمع، ولا بد ان تكون المدرسة بالمثل مجتمعا يتم فيه اثناء تجربة التلاميذ وتنظيمها عن طريق انشطة مشتركة (ديوي، ١٩٧٨: ١٣).

ولإبراز مفهوم فلسفة التربية عند ديوي لابد تتبع العلاقة التي تربط الفلسفة بالتربية عند "جون ديوي"، ولهذا نبدأ في البحث عن هاته العلاقة. فقد اشار "جوي ديوي" بوضوح ان الفلسفة هي التربية وان التربية هي الفلسفة، فالفلسفة متصلة اوثق اتصال بالحياة، ويقول في ذلك: "ان اي شخص عاقل قد يرى من الممكن ان التفلسف يجب ان يدور حول التربية باعتبارها اقصى اهتمام اساني، وتتواجد معه علاوة على ذلك مشكلات اخرى كونية واخلاقية ومنطقية، وقد وضح ديوي علاقة الفلسفة بالتربية بقوله: "في الحق ان كل نظرية فلسفية لا تؤدي الى تبديل في العمل التربوي لابد ان تكون مصطنعة، ذلك بأن وجهة نظر التربية تعيننا على فهم المشاكل الفلسفية في منابنها التي نشأت فيها، حيث يؤدي قبولها او رفضها الى تبديل في الناحية العملية في التربية" (ناصر، ٢٠٠١: ١٠٠).

ويبرز مفهوم فلسفة التربية عند ديوي في انها استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير لمناقشة المسائل التربوية حيث اعتبر الفلسفة "هي النظرية العامة في التربية" وهي من جهة اخرى النشاط المنظم الذي يتخذ من الفلسفة وسيلة لتحديد منطلقات وتوضيح الاهداف التي يود تحقيقها، وفيلسوف التربية هو ايضا "ذلك المهندس الذي يخطط ويرسم مخططاته انطلاقا من حاجات المجتمع"، واختلاف الرؤى الفلسفية في نظره لا يؤدي الى الاختلاف في التطبيق

التربوي ذلك ان ادراك حلول المشكلات الواقعية يختلف من شخص لآخر (ديوي، ١٩٥٦: ٣٦٦).

من أهم القواعد الفلسفية التربوية والاسس المنطقية التي قامت على اساسها آراؤه التربوية.

سوف نتطرق في هذا المبحث الى اهم القواعد والاسس لبناء اراء ديوي التربوية المنطقية وهي كالتالي:

١. الخبرة اساس فلسفة التربية عند "جون ديوي".

ليس من شك في ان ثورة جون ديوي على الفلسفة المثالية الكلاسيكية انما هي ثورة على الذين لا يهتمون بالواقع الخبري ويتحكمون للافكار المجردة، وفي مقابل ذلك قدم تصورا جديدا للفلسفة بصورة عامة والتربية بصورة خاصة ذلك التصور يتمثل في الخبرة، ولهذا يجب ان نلفت النظر الى مفهوم الصحيح في اطارها الفكري والفلسفي (ديوي، ١٩٦٠: ٢٨٦).

جعل "ديوي" الخبرة عملية ديناميكية متغيرة ومتطورة تعبر عن الترابط بين الفكر والعمل والتفكير والنشاط والفرد والمجتمع، وانها عملية الحياة نفسها وحقيقة التكيف ذاته، بل انها السبيل الى بناء الحياة الديمقراطية والقائمة على احترام الفرد، واداة التفاعل بين الكائن الحي وبيئته، فالخبرة ليست شيئا اختباريا (Empirical) بل تجريبيا (Experimental) بما يجمع بين التجريب والمعرفة العقلية (ديوي، ١٩٦٠: ٢٨٧).

اعتبر "جون ديوي" الخبرة اساس التربية الجديدة واولى اهتماما خاصا بها فأمن بأن التربية الصحيحة انما تتحقق بها، ولاشك من ان الخبرة التي يقصدها "جوي ديوي" هي الخبرة النافعة التي تحقق تفاعلا بين الفرد وبيئته ويستثنى بذلك الخبرات التي لا تتضمن تفاعلا ولا تحدث التغيرات المرغوب فيها في سلوك الفرد، وبهذا كانت التربية للخبرة عن طريقها وفي سبيلها، وفهم طبيعتها يقتضي ملاحظة ما تتضمنه من عنصرين هاميين وهما: الفاعل (active) والمنفعل (passive) فأما الناحية الفاعلة فيعني بها "ديوي" المحاولة او التجربة في حين يشير الانفعال الى المعاناة، بحيث اذا اثرنا في شيء فانه يعاودنا ويحدث فينا اثر مقابلا، فتظهر طبيعتها متغيرة تغيرا منتجا لا عقيما لأنها ترتبط بالوعي لما ينتج عنها، وبهذا لا يمكن الفصل بين العمل الفاعل والمعاناة المنفصلة في الخبرة (ديوي، ١٩٥٤: ٢٠).

تعتبر التربية اداة لاستمرار الحياة والحياة مرتبطة بالخبرة فإن "جون ديوي" نظر الى التربية على انها هي التكوين الجديد للخبرة او كما يقول: "هي عملية نمو داخل الخبرة وبالخبرة وللخبرة" ويستعد بذلك الخبرات التي تقضي الى النقص في التكيف. وهو يميز بين الخبرات التي تصدر من الحياة اليومية المعاشة والخبرات الناتجة عن التطور العلمي الحاصل، الاولى تقوم على تقبل المعتقدات والافكار دون تفحص ولا تدبر، اما الثانية فهي التي تجعل الفرد اكثر تكيفا لأنها تقوم على الفهم الصحيح لإدراك العلاقات بين الاشياء وما يرتبط بالقوانين التي تحكم الظواهر في الطبيعة والحياة الاجتماعية، ومع هذا تتضح الشروط التي يضعها "ديوي" لاختبار الخبرة التي تكون اساسا لكل تربية صالحة وتمثل ايضا طبيعتها والتي تسمح بالحصول على خبرات اخرى مفيدة في المستقبل، ان الخبرة الصالحة هي التي تساهم في تنمية الذكاء وتحصيل الفهم والادراك ولا يكون ذلك دون ولوج المنهج العلمي الى الحياة ونظرا لما للعلم من تجريبي من دور في الخبرة الحياتية فإن "ديوي" اكد على ضرورة اصطناع الاعمال التطبيقية العلمية في التربية المدرسية لربطها بالواقع الذي يتصل بالخبرة الانسانية، الامر الذي جعله يحدد وجه الحاجة الى فلسفة الخبرة او نظرية لها تمكن من وضع الخطط والمشروعات التربوية ولا تترك عرضة للصدفة (غيو، دت : ١١٢).

هناك مبدئين اساسيين: يراهما ديوي ضروريين في هذه النظرية التي رسمها للخبرة يقول عنهما: (وقد حاولت ان ابرر حاجتنا الى مثل هذه النظرية بلفت النظر الى مبدئين اساسيين في تكوين الخبرة، الا هما مبدأ التفاعل ومبدأ الاستمرار) (ديوي، ١٩٦٢: ١٤٥).

أ. الاستمرار:

الاستمرار او تواصل الخبرة، وهو سمة ضرورية في الخبرة التربوية لأن النمط القديم لم يكن يراعي هذا المقوم مما جعل التربية التقليدية تنحرف عن النمو وتتجه الاتجاه غير السليم، ويعني هذا المبدأ ان الخبرة الحاضرة تأخذ من الخبرة السابقة وتستفيد منها، وتشارك معها في ظروف مختلفة، وتتصل ايضا مع الخبرة اللاحقة لتأخذ بها الى مستوى اعلى وافضل، وبالتالي تشارك معها في ظروف وعوامل معينة وفي هذا يقول: "كما يعني مبدأ استمرار الخبرة من هذه الوجة ان كل خبرة تستمد شيئاً من هذه الخبرات التي مضت من قبل وتكيف بطريقة ما تلك الخبرات التي تتلوها" والخبرة التربوية السليمة هي التي تكتسب عن طريق الديمقراطية اي تقوم على المشاركة الحرة الفعالة للفرد داخل المدرسة او المجتمع وعن هذا الطريق تنتج

خبرة راقية، لأنها بعيدة عن كل ضغط واكراه على عكس ما كان يحدث في التربية الكلاسيكية التي تجبر الافراد على حمل المعلومات كما يراها المربون دون مراعاة رغبات الاطفال وقدراتهم ومستوياتهم الفكرية والنفسية، وبناء على ما ذكرناه يتضح ان مبدأ استمرار الخبرة ينمي الفرد من الناحية الجسمية وكذا العقلية، فالطفل الذي يتعلم الكلام يكتسب سلاسة جديدة ورغبة في التعلم وتزداد في الظروف الخارجية ومبدأ استمرار الخبرة التربوية يعتمد اساسا على العادة اي يمارسها الفرد حتى يتم تعديل سلوكه بما يساهم في نقل الخبرات التالية، فالسلوك التعودي في هذا المعنى يتضمن التكوين في الجوانب النفسية والانفعالية والعقلية كما يتضمن ايضا كيفية مجابهة مقتضبات الحياة (الخوري، ١٩٦٤ : ٨٩).

ب. التفاعل:

يشير مبدأ التفاعل الى ما يوجد بين الفرد والبيئة من علاقة تأثر وتأثير، او بعبارة اخرى حاصل هذه العلاقة هي ما نسميه بالتفاعل. ولما كان ليس ثمة شيء في الوجود يوجد منعزلا بل كل الاشياء في ترابط فالكواكب السيارة توجد وتتحرك في نظم شمسية، وكذا النباتات والحيوانات تتحرك في ظروف واحوال متفاعلة ومتداخلة، فكذلك الامر بالنسبة الانسان الذي يعيش على الاتصال بالآخرين، اذ بمجرد خروجه من الاسرة يجد علاقات وروابط اخر في المدرسة والمجتمع (مرسي، ١٩٨٨ : ١٠٩).

وبهذا لفظة التفاعل كما يعبر عنها "ديوي": "تقرر اهمية متساوية لكلا العاملين اللذين يكونان الخبرة الا وهما الظروف الخارجية والداخلية وكل خبرة عادية هي ثمرة التفاعل بين هاتين المجموعتين من الظروف. وامتزاج هذين النوعين من الظروف اي الظروف الموضوعية المادية والاجتماعية منها والظروف الذاتية اي الداخلية الخاصة بالفرد حاجاته وتوازعه، وهي ما يشكل في النهاية موقفا (جديدي، ٢٠٠٩ : ٢٣٩).

ان مبدأ التفاعل يلتقي مع مبدأ الاستمرار في الخبرة التربوية، هذا الذي يمثل انتفاضة "ديوي" على التربية التقدمية تقوم على التفاعل بين الظروف الخارجية واهمالها لميولات الافراد، فالتربية التقدمية تقوم على التفاعل بين الظروف الداخلية من جهة والخارجية من جهة اخرى ويسمى تفاعلها موقفا يقضي الى خبرة تربوية سليمة، وتتنوع الخبرات الناتجة تبعا للفروقات الفردية من حيث الاستعداد والتفاعل، ولهذا كان يهدف "ديوي" الى الحفاظ على الاتزان بين ميولات الفرد ومقتضيات البيئة عمل في اصلاحه التربوي بتركيز الجهود على الطفل في كل

جوانبه باعتباره طرفاً مركزياً في عملية التفاعل دون اغفال الجانب الآخر من التفاعل وهو المدرسة او البيئة وظروفها، وهذا التوازن في التفاعل هو الذي يكون الخبرة ويجدها (جديدي، ١٩٨٨: ٤٠).

٢. المنهج الاداتي:

ساهمت الخبرة في بناء فلسفة التربية عند "جون ديوي" بشكل واضح كما ساهمت ايضا في ابراز المناهج والطرق التي تظهر النجاح والتقدم وتميز الفشل والاختفاق، حيث جعل الفكرة وسيلة لكل معرفة وتبعاً لذلك اوضحت منهجيته تقوم على استخدام نتائج البحث كوسائل للدلالة على صدق القضايا، فالصدق عنده هو ما يفيد وينفع وهو يجمع بين الصدق والنفع، فالصدق عنده ليس صدقاً الا انه نافع وليس نافعا الا لأنه وسيلة تستجيب للواقع المشخص للإنسان (زكريا، ١٩٩٣: ١٢٠).

قبل الوقوف على فعالية المنهج الاداتي في نشأة فلسفة التربية عند "ديوي" لابد ان نخرج الى مفهومه، فكلية منهج تدل على مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ الهدف، كما يدل على كيفية تصور العمل حول موضوع دراسة ما والتخطيط له، فمثلاً المنهج العيادي ينشد هدفاً علاجياً، كما يفرض المنهج التجريبي طريقة تصرف ما على مستوى الملاحظة، واسلوب في المعالجة الناتجة عنها، تتسم فلسفة ديوي بالنزعة الاداتية وترجع دعائم منهجه الاداتي الى دراسته للطريقة التي يعمل بها الفكر في مواجهته للمشكلات وبحثه عن الحلول الناجحة حيث توصل الى الحقيقة والتي مفادها ان التفكير في جوهره هو حل لكل المشكلات وان المعرفة ليست سوى ادوات لموافق اخرى تتطلب الحلول. فمن المفيد ان نعرف كيف اقام ديوي منهجه الاداتي على اعتبار انه جعله المنهج الملائم للتفكير في الحياة المعاصر، عندما وضع منهجه هذا كان يهدف الى الرجوع الى مذهب ارسطو من اتخاذ المنطق اداة للتفكير لا كما فعل "كانط" واتباعه من جعلهم المنطق صورياً وان في العقل صوراً اولية للتفكير، وتحت تأثير المنهج التجريبي رأى ديوي ضرورة وجود منهج جديد فاخذ برأي بيكون في معارضته للمنطق الارسطي لما اعتبره منطقاً يهدف الى السيطرة العقلية لا الواقعية وقد صرح بهذا في كتابه تجديد في الفلسفة حينما قال: "ولكن لم يفت بيكون مع ذلك ان يحمل على طريقة ارسطو ذاتها، فقد كانت في ادق اشكالها ترمي الى الاقناع، ولكن البرهنة والاقناع كليهما يرميان الى السيطرة على العقل لا على الطبيعة، فضلاً عن انهما يفترضان ان احداً قد حصل من قبل

على حقيقة معينة او اعتقاد خاص وان المشكلة التي يواجهها لا تخرج عن ان ينفع اخر بهذه الحقيقة او بذلك الاعتقاد او يعمل على تعليمها الناس ونشرها فيما بينهم" (محمود، ١٩٦٥: ٢٤١)

لما اخذ "جون ديوي" بالمنهج التجريبي الذي وضعه "بيكون" حاول ربطه بالشؤون الانسانية الاجتماعية لتأسيس منهجه الاداتي واتخذ من خطواته الثلاثة (الملاحظة والفرضية والتجربة) دعامة للتفسير المنطقي واسبس نظريته في البحث التي تقوم على مراحل مترابطة، اذ تبدأ بالمشكلة وتنتهي بالحل الذي يمثل نتائج البحث، والتي تصبح بدورها ادوات ووسائل يستخدمها الفكر في مواجهة مشكلات اخرى، فالافكار في المنهج الاداتي مهما اتسعت وخلت من التناقض وتحقق فيها الانسجام الذاتي ينبغي اخضاعها لمحك التجريب العلمي لتكون ادوات صالحة لإعمال ممكنة ، وبهذا تتجلى الفلسفة الاداتية عنده فهي تدعو الى التخلص من الطابع الميتافيزيقي الكلاسيكي والتخلي بالمنهج العلمي والاستفادة من نتائجه (انجرس، د.ت: ٩٨)

المدرسة الديوية واهم مناهجها التربوية

سيتم في هذا المبحث التعرف على المدرسة وعلى اهم الموضوعات التي تدرسها، والمنهج التربوي التي تتبعه المدرسة الديوية.

مفهوم المدرسة عند جون ديوي:

يرى جون ديوي بأن المعنى اللغوي لكلمة "مدرسة" يشير الى انها تدل على التغيير الذي حدث فيها وفي هذا يقول: "ان الكلمة الاغريقية التي اشتقت منها كلمة مدرسة في اللغة الانجليزية، معناها خلو من العمل او الفراغ، وهذه الحقيقة توحى لنا بطبيعة التغيير الذي حدث ويرجع سبب استمداد مفهومها الى فكرة الفراغ هو ان الناس قديما نادوا بالفصل بين فصول الترفيه او الفراغ، وفصول العمل وكان التعليم يهدف الى تحقيق النوع الاول اي فصول الفراغ لأن ما ارتبط بالتعليم في ذلك الوقت كان يخص الاثرياء ولم يكن لهم دافعا الى العمل. غير ان هذا الفهم تغير-رغم ماله من تأثير في بروز التعليم النظري الذي يعتمد على الكتب- واصبح مفهوم المدرسة اكثر توسعا خاصة لما بدت الحاجة الضرورية للتربية في سبيل العمل واضحت صورة للحياة الاجتماعية تزخر بالانشطة التي يسعى الفرد لتعلمها

لتساعده في حياته المنزلية والزراعية والتجارية والصناعية وحتى السياسية (عبد الرحيم، ١٩٦٦: ١٧٥).

فالمدرسة في التربية التقدمية مؤسسة اجتماعية تمثل استمرار للحياة المنزلية التي تعود عليها الطفل وآفها واذ تعمل على تجسيدها حتى تقوم بها ويأخذ نصيبه فيها، فهي جزء من الحياة الواقعية تمثل جميع النظم الاجتماعية بقدر الامكان التي يشبع فيها النشاط والحركة ويحيا فيها الاطفال حياة اجتماعية اذ تحاول، والحاجة الى جعل الحياة المدرسية حياة اجتماعية خاصة هي روح الاصلاح الاجتماعي الذي تبناه "ديوي" الذي يتجسد في تغيير شكل المؤسسات التربوية ومهامها وغاياتها بحيث يصبح النظام التعليمي ينبعث من الحياة المدرسية في صورتها الجديدة ليتسنى للتربية تجاوز مهام المدرسة التقليدية القائمة على اعداد المتعلمين للحياة المستقبلية بالاعتماد على المربي دون العناية بميولاتهم واهتماماتهم ونشاطاتهم الذاتية فهي عبارة عن بناء فيه فصول دراسية تحوي التلاميذ ليتلقوا ما يميله عليه المعلمون، فكانت المدرسة مكانا مهيبا للاستماع ولم تكن معملا يعمل فيه الطفل بنشاط (ديوي، ١٩٦٢: ٢٦٦).

لقد جعل "جون ديوي" المدرسة مجتمعا مصغرا يعكس كل المظاهر الاجتماعية والاخلاقية والسياسية بتفاعل افراده مع ظروفها والتي لا تختلف عما يوجد خارجها اي مجتمعا مصغرا متفاعلا مع ضرورة الخبرة الاجتماعية خارج جدران المدرسة ومن اهم الموضوعات التي تدرسها، والمنهج التربوي التي تتبعه المدرسة الديوية:

١. التربية التقدمية: Progressive Education

هي النهج التربوي الذي يؤكد على ديمقراطية التربية والابداع الذي يتناسب مع ميول التلاميذ، وتعليمهم بالعمل، والعلاقة الوطيدة بين المعلم والتلاميذ.

من خلال التعريف نلاحظ ما يلي:

- ان يساهم التلميذ او ولي امره والمعلم وكل من له علاقة بالعملية التربوية في وضع الخطط الخاصة بعملية التعليم وادارة المدرسة.
- ان الابداع في مجال معين لا يكون الا بما يناسب ميول التلميذ واهتماماته.
- ان افضل طريقة للتعليم هي التعلم بالعمل.

• ان علاقة المعلم بالتلميذ علاقة مبينة على النصح والارشاد لا على التلقين وحشو العقول بالمعلومات (ديوي، ١٩٦٢: ١٧٦).

مبادئ التربية التقدمية:

تمتاز كل تربية عن غيرها بمجموعة من مبادئ التي تعطي لكل تربية رونقه، والتربية التقدمية تحتوي على العديد من المبادئ منها:

١. اهتمام التربية بكل ما يؤثر على نمو الطفل الطبيعي.
٢. نشاط التربية وايجابياتها وعنايتها باهتمامات الطفل.
٣. التركيز على طريقة حل المشكلات.
٤. تشجيع المدرسة للتعاون اكثر من التشجع على التنافس.
٥. تبني التربية الديمقراطية في المدارس التقدمية.
٦. التربية في نظر التقدمية هي الحياة وليست اعداد للحياة.

٢: الموضوعات الدراسية في المدرسة التقدمية

ان لكل الموضوعات الدراسية صلة وثيقة ببيئة المتعلمين وتبدأ بالواقع الاجتماعي وفيه تتحقق التربية غير المقصودة حيث المواد التعليمية محمولة مباشرة في ثنايا التواصل الاجتماعي الذي يجب ان ينعكس على التعليم النظامي او المقصود. فإذا كانت التربية غير المقصودة تنهل من المجتمع اللغة والعادات والتقاليد وكل ما يأخذه الفرد فكريا واخلاقيا ونفسيا وحتى بدنيا، فإن التربية المدرسية يجب ان تنطلق من الواقع الاجتماعي، لأن حياة الطفل الاجتماعية هي اساس تحصيله التربوي ولهذا تكون الموضوعات الدراسية متميزة نابعة من الواقع وبعيدة عن التجريد، ان تعليم الطفل المواد الدراسية سواء تعلق الامر بالقراءة او بالكتابة والجغرافيا من دون ان يكون لها صلة بواقعه يخرج عن غرض التربية ذاته (ناصر، ٢٠٠١: ٣٩٤).

أ- المواد الدراسية في المدرسة التقدمية

لربط المواد الدراسية ببعضها البعض يؤكد "جون ديوي" على ضرورة اللجوء الى نشاط الطفل الاجتماعي نفسه عنها يقول: "اذا حاولنا جعلها مركزا لدراسة الطفل وتعلمه من غير صلة بالحياة الاجتماعية تكون بذلك قد ادخلنا مبدأ التفريغ والتشتيت لا التركيز والوحدة" (ديوي، ١٩٥٥: ١٩٨).

وبعني ذلك ان دراسة العلوم تقتضي استخدام المواد التي ترتبط بالواقع، وكذا مع بقية المواد كالتاريخ والجغرافيا، غير انه يجب توفر المادة المعرفية لدى المربي اكثر من المتعلم لتساعده على فهم سلوكيات المتعلمين والتعامل معها في الحالات الطبيعية وحتى الطارئة فيتحكم بوسائل الايضاح ويميز ما يناسب المتعلمين، لهذا يجب تهيئة المواد الدراسية بمعايير معينة ومنها:

أ. ان تكون مادة الموضوعات الدراسية تعبر تعبيراً مفصلاً عن معاني الحياة الاجتماعية الراهنة التي يتم نقلها الى الاطفال، مما يوحي بضرورة استيفاء المربي لعناصر الثقافة المتعلقة بالواقع والضرورية وبشكل منظم حتى تنتظم جهوده.

ب. توفر الخبرة التربوية التي تجعل المربي يستطيع توجيه الاستجابات الشاردة والمندفعة لتمكنه من الحصول على سلوكيات ذات قيمة، فمثلاً كلما زادت معرفته بالموسيقى ادرك اندفاعات الطفل الموسيقية غير المنظمة من قابليات النمو، وبالتالي فالمادة الدراسية المنظمة تمثل ثمرة الخبرة التي تعمل على انماء الخبرات الجديدة.

ج. ينبغي ان تكون المادة الدراسية مبسطة تتجنب الاثارة وتتماشى مع قدرات التلميذ. أكد ديوي على عدم التركيز على المادة نفسها بل على تفاعلها مع حاجات التلميذ، فالمادة الدراسية تساعد المعلم على توجيه انتباهه الى مواقف المتعلمين وفهم ما ينتج عن تفاعلاتهم بحيث يكون عقل التلميذ منشغل بالمادة المقدمة له ولا ينصرف الى نفسه. فهو يؤمن بأن قدرة المربي العلمية لا تكفي وحدها في التربية ما لم يعود على الاهتمام بتفاعل المادة الدراسية مع خبرة التلميذ بمعرفة المادة نفسها من جهة ومعرفة حاجات التلميذ واستعداداته من جهة اخرى (ديوي، ١٩٥٥: ١٩٠)

غير ان المادة الدراسية تنمو في خبرة المتعلم بمراحل، فهي تصل في بدايتها الى الافراد وتظل متأصلة فيهم وتتمثل اولاً في معرفة الطريقة التي بها ينجزون الاعمال كمعرفتهم كيف يقرأون ويكتبون وكيف يستعملون الآلات الحاسبة او يمارسون رياضية ما؛ فمعرفة الطريقة ضرورة لتحقيق الغايات والاهداف ثم تعمق بعد ذلك الموضوعات الدراسية بالمعرفة والمعلومات التي تأتي عن طريق الاتصال حيث يزود المجتمع خبرة المتعلم من خلال ما ينقله له الآخرون، وما يكون من علاقة بين المعلومات المنقولة والاعمال الشخصية للمتعلم

هو الذي يمثل المعيار الذي يقاس به قيمة المعلومات الدراسية، التي تكون نابعة من شعور الطالب بالحاجة اليها ويجد السبيل الى تطبيقها في واقعه.

لقد دعا "جون ديوي" الى تعديل العديد من المناهج والكتب المدرسية وطبق ذلك على العديد من المواد التعليمية. ففي دراسة التاريخ مثلا قد يدرس التلاميذ تاريخ فن العمارة ويتعرفون على الطرق البدائية في بناء البيوت ومن ثم نراهم يبنون هذه البيوت او الكهوف او بيوت الاسكيمو على الرمل ويعملون بمفردهم، ويختلف العمل من صف الى اخر حسب الانشطة المقررة. ومنه فإن طبيعة المواد الدراسية في المدرسة التقدمية كما يتصورها "ديوي" اخذت توجهها جديدا يمكن ان نوضحه حسب تصوره في النقاط التالية:

أ. الموضوعات الدراسية ليست تراثا بل هي خبرات ماضية يمكن توظيفها عمليا في الحاضر لتمكن المتعلم من عملية النمو التي تؤهله للمستقبل.

ب. المواد الدراسية التي تتضمن في محتواها خبرات تراعي المجتمع بكل ظروفه بما فيه التطور الحاصل فيه وقدرات المتعلمين واهتماماتهم حتى يمكنهم من ترجمة ذلك عمليا.

ج. يجب ان تكون تلك المواد متناسقة فيما بينها لتشكل صورة متكاملة في ذهن التلميذ، فاللغة مثلا لا تدرس منعزلة وانما في اطار الانشطة الاخرى، وكذا الامر بالنسبة لمواد جغرافيا والتاريخ وغيرها لتقرب التلميذ من حقائق المجتمع ويحدث الترابط بين كل الموضوعات الدراسية ذلك ان الطبيعة هي الوسط الذي يقع فيه الاحداث الاجتماعية.

د. يدعو "ديوي" الى ضرورة تنظم المواد الدراسية في صورة مشكلات ويترك للتلاميذ حرية التفكير ليتمكنوا من الاستفادة من النتائج التي يحصلون عليها في المواقف الاخرى، هذا الذي جعل "ديوي" ينظر الى الموضوعات الدراسية على انها وسائل لتحقيق غايات اخرى في المدرسة والمجتمع، ومنه تكتمل مهمة المدرسة التقدمية التربوية من خلال ما تعده للطفل من موضوعات تساير حياته الاجتماعية وتجعله جوهر العملية التربوية، وذلك خلال الانشطة والاعمال اليدوية في المدرسة، فهي تعتبر وسيلة هامة في تنمية الطفل فتكسبه المعرفة عن طريق ممارساته العملية للانشطة التربوية لا عن طريق قراءة الكتب او استماعه لشرح رغم ما لذلك من اهمية في التحصيل المعرفي (ديوي، ١٩٦٠ : ١٩١١)

ومن اهم الانشطة والاعمال التربوية التي تشتهر بها المدرسة التقدمية والتي تستعمل فيها ادوات كثيرة كالمعادن والتربة والورق وغيرها تساعد الاطفال على عمليات متنوعة كالشي

والقص والقياس والسبك والتسخين والتبريد وسائر الانشطة الاخرى التي تقوم على التجوال والرياضة والبستنة وكذا التمثيل وتأليف القصص والحكايات، كل هذه الانشطة تكسب التلاميذ المهارات وترغبهم في الاعمال الجماعية وتشعرهم بالراحة لأنها تلائم قواهم وميولاتهم وتكون عندهم الروح الجماعية. (ديوي، ١٩٤٧ : ٢٢١)

على الرغم من اهمية الاعمال اليدوية الا ان "ديوي" يدعو الى عدم المبالغة في تكليف الاطفال بموضوعات معقدة كانت ام جسمية حتى لا تتجاوز قدراتهم، وما على المعلم الا ان يوجه التلميذ الى تنظيم اعماله في حينها وان يمرنه بالتمارين التي تؤدي به الى استكمال قواه، كما عليه ان يجعله يدرك النقص في اعماله في حينها، ويجد الطريق بعثه للقيام بالتمارين التي تؤدي الى سد النقص في قواه، وبالتالي فهدف كل نشاط يدوي تنمية الذكاء والروح والابداع في الطفل والذي يسهم في تنظيم اعماله وصقلها، اراد "جون ديوي" ان يجعل المدرسة مواكبة للحياة العملية للوصول الى النجاح الفردي والانتفاع المادي الاجتماعي، وذلك من خلال ما قدمه حول قدمه حول طبيعة الموضوعات الدراسية واهمية الاعمال اليدوية في المدرسة التقدمية، فالمدرسة التي يتصورها هي المخبر الذي يستطيع المربي اختبار فيه جميع التجارب التي يراها مناسبة لتطوير الحياة الانسانية (ديوي، ١٩٤٧ : ٢٢٢)

٣: المنهج التربوي في المدرسة الديوية:

يعد المنهج "مجموعة من الاجراءات والطرق الدقيقة المتبناة من اجل الوصول الى نتيجة، وهو ايضا مجموعة الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية التي تهيؤها المدرسة لتلاميذها في الداخل والخارج، فإن اساس المنهج التربوي الجديد هو الخبرة التي ترتبط بما يكسبه من المواقف المتغيرة التي يواجهها في حياته. فكل ما يمر بخبرة التلميذ جزء من المنهج، ذلك ان الحياة الاجتماعية للطفل هي الاساس لجميع جهوده وبالتالي يجب اضافة الوعي الاجتماعي على المنهج الدراسي وكذا مراعاة التقدم العلمي.

هناك مبدئين اساسيين يراهما "ديوي" ضروريين في المنهج التربوي اولاهما الخبرة والتفكيرية والذكاء منهج اداتي.

١- الخبرة التفكيرية:

جعل ديوي الخبرة اساس المنهج التربوي الجيد واساس كل تصوراته الفكرية، فالخبرة التفكيرية القائمة على الدقة فهي تجربة تقوم على الفكر والنشاط العملي معا حيث تعبر عن الفكر تعبيرا واقعيا في نجاحه او فشله. يدعو "ديوي" الى ربط الخبرة بالتخطيط العلمي العلمي الدقيق والى بناء الموضوعات الدراسية معتمد على الخبرة من جهة والاسلوب العلمي من جهة اخرى، وتتجلى مهمتها التربوية فهي تقوم على تنظيم الافكار وما ينتج عنها من تصورات وظيفية. اضافة الى ذلك يدعو "ديوي" الى ربط الخبرة بالاسلوب العلمي ويجعل منها منهجا تربويا علميا، ذلك ان المنهج العلمي يكون دائما فعالا بقدر ما يساعد على تغيير الظروف التي يوجد فيها الانسان.

ومنه تكون الخبرة التفكيرية قد رفعت عن المنهج التربوي الجمود الذي عرفه مع التربية التقليدية، من خلال تجاوزها للتصور الذي كان يعتبر المنهج مادة محددة بين مقررات الكتب الدراسية وانتقالها الى التصور الي يجعل منه متميزا بالنشاط الذي يسعى الى خلق التفاعل بين المتعلم وموضوعاته، حيث يبرز في المنهج الجانب الاول ويمثل المتعلم والجانب الثاني ويمثل الجماعة المحيطة به وكل وموضوعاته، والانشطة التي يتفاعل معها وبهذين الجانبين بنمو المتعلم في قدراته الفردية والاجتماعية.

فإذا كان الطفل المتعلم ينطلق في بناء احكامه باستخدامه العلاقة التي يتمثلها بين الاشياء كأن يتخذ من الشيء دليلا على شيء آخر وينشئ العلاقة بينهما، فإن المربي الناجح هو الذي يلاحظ ذلك على نحو ادق فيختار الاشياء بعد تدبر عواقبها لتوسيع فكر المتعلم وتمميته على الاستدلال السليم؛ اي انه يستعين بما يحمله من خبرات ويستثمرها بدقة بما سكيب المتعلم تلك الخبرة وذلك الذكاء، اذ لا يمكن ان يسعى المربي الى تربية الاطفال على الذكاء او التدبر الصحيح وهو لا يمكنه فعل ذلك، ولهذا فالخبرة التفكيرية معيار نجاح المربين انفسهم. تتسم الخبرة التفكيرية ببعض السمات وهي كالتالي:

أ. التفكير المرتبط بالخبرة اداة للتعلم والتطور والتقدم وحل المشكلات، وباعتبارات ضرب من السلوك مرحلة من مراحل المستمرة يكون موجهها للتجريب وعاجلا منه نشاطا منظما تتلائم مع الظروف التي تثيرها المشكلة.

ب. الخبرة التفكيرية باعتبارها وسيلة ليست مستقلة عن مشكلات الحياة بل وثيقة الصلة بظروفها، إذ انها تساهم في استحداث مواقف جديدة وتزيل عنها الصعوبات.

٢- الذكاء منهج اداتي:

ان استخدام ديوي للفظ الذكاء لم يكن استخدامها كلاسيكيا بل ابرزه في تصور جديد يثبت انقلابه على الاصطلاح الكانطي من جهة اخرى، فلم يعد الذكاء معه هو العقل الخالص مثلما اعتقد "كانط" بل ينظر اليه بنظرة جديدة، جعل ديوي الذكاء منهج تربوي مرتبط باختبار الوسائل وكيفية تنظيمها في سبيل تحقيق الاهداف المنشودة من كل نشاط تربوي، فهو يعبر عن الطرق التي تكشف حلول المشكلات، كما يساعد المتعلمين على تنمية خبراتهم، وبهذا فالذكاء يضع الخطط والمقترحات ويخضعها لمحك الخبرة والتي تتخذ من المنهج العلمي اداة لتبريرها، وما يضعه من خطط وافكار ليس مطلقة ولا ثابتة بل هي مجرد فروض تطبق عمليا (الطيب، دت: ٢٠١)

جعل "ديوي" من وظيفة التربية التقدمية تنمية ذكاء المتعلمين بتوفير الوسائل الكفيلة بتربية الطفل وتنميته داخل الخبرة حيث يتم وضعه مباشرة امام المشكلات والمواقف وتسخر له الوسائل التي تكون في حد متناوله لتلك المشكلات من اجل التكيف معها. ومن خلال هذا جاء تصوره للمنهج التربوي الجديد على صورة المنهج التجريبي بخطواته المعروفة "الملاحظة الفرضية والتجريب" وهذا ما يثبت تأثره بما قدمه العلم.

ان اهتمامه بالعلم في التربية التقدمية هو الذي مكنه من اخراج المنهج التربوي من نسقه التقليدي الذي يعتمد على تنمية الطفل من نواحي ضيقة واتجه به الى النسق العلمي عن طريق التدبر البصير في رسم الاهداف التربوية الصالحة التي تتماشى مع ميولات المتعلم وقدراته؛ وجعله هو مدار كل عملية تربوية. فالمنهج التربوي عند "ديوي" هو المنهج القائم على الخبرة التفكيرية والذكاء المنظم، والذي سقتضي في تطبيقه خطوات وشروط (الطيب، دت : ٢٠٢)

٤: خطوات المنهج التربوي وشروطه:

تحدث "ديوي" على ضرورة ربط التفكير بالنشاط ومن اجل ذلك وضع لها خطوات تشكل بصورة عامة رؤيته المنطقية والتي نستشف منها تصوره للمنهج التربوي الجديد ويمكن ايجازها فيما يلي:

أ. **الشعور بالمشكلة:** وذلك من خلال احساس المتعلم بالاضطراب والحيرة تجاه الوضع المقدم له نتيجة الشعور بالنقص فيه، هذا الوضع الاشكالي يتصف بالاضطراب فيدرك ان تمام النقص يكون بالتكيف مع ذلك بصورة ملائمة، حيث يدعو "ديوي" المربي الى الادراك السليم للوضع الاشكالي وذلك من خلال تمييزه بين المشاكل الصحيحة والمشاكل المزيفة، هذه الاخيرة تكون مفتعلة واتي من الخارج بصورة تسلطية تتنافى ومغزى التربية الديمقراطية لأنها تتضمن توجيهها مسبقا اعداديا لا يحقق الاهداف والتربوية المنشودة، اما المشكلة الصادرة صدورا طبيعيا فهي التي ترتبط بخبرة الفرد وتتعلق بمحيط المدرسي والاجتماعي ويعد "ديوي" هذه الخطوة الاولى في كل تربية علمية منسجمة تهدف الى تنمية الذكاء وتجسيد الروح الديمقراطية.

ب. **عقلنة المشكلة:** في هذه المرحلة يستند الفرد في تأويله المؤقت للمواقف الراهن الى عناصر محيطة به، بحيث يبدأ التفكير بما اكتسبه من خبرة ماضية وما يعيشه من مواقف راهنة وبما ينمي فكره في حل المشكلات التي تواجهه. وبهذا يتم صياغة المشكلة بصورة عقلية سليمة ومحددة، ولا بد من ان نشير الى الاخطاء التي وقفت فيها التربية التقليدية لما اعتبرت انه كلما كانت المشكلات اكثر صعوبة نمت معها قدرات التفكير، الا ان السبيل السليم الذي يراه "ديوي" في ذلك ان تكون المشكلات التي يتعرض لها الطفل نابعة من واقعة الذي يعيشه لا المستقبل غير المتوفر.

ج. **الاقتراحات والافتراضات:** تأتي عملية اقتراح الحلول بعد عقلنة المشكلة وتحديدها، وهنا تبرز المداولة الفكرية بحيث يستطيع المربي ان يحيط الاحاطة الوافية بكل الاعتبارات التي ترتبط بالمشكلة، وعليه ان يكون ملما بكل الحقائق الناتجة عن التجربة الفعلية المرتبطة بالموقف المشكل وهذا ما عبر عنه "ديوي" قائلاً: "فالافكار توجه العمليات والعمليات تثمر نتيجة ليست الافكار فهي مجرد، الا حين تصف الاشياء المحسوسة".

د. **مراعاة الفروض وتفحصها:** يتم بصورة استنباطية على ضوء المعرفة الماضية والتجربة، ويقترح "ديوي" توسيع الفروض الفروض المؤقتة حتى تصح دقة بين اجزائها باتفاقها مع اكبر عدد من الحائق، فالافتراضات تظل ناقصة باعتبارها افكار مقترحة والتطبيق هو محك اختبارها والذي يقوم على التفاعل بين الظروف المهنية والقدرات الفردية، وهو وجده الذي يؤكد

صحة فروضا ويسقط اخرى، فينبغي هنا على المربي ان يراعي الانشطة التي تسمح له التأمل في الافتراضات المحكمة والناسبة للمواقف المطلوبة والمستثارة.

هـ. اختبار الفرضيات المحتملة عن طريق التجريب: هنا تتم العملية بصورة استقرائية حيث تتكشف نجاعة الفروض المناسبة للوضع الاشكالي، فتنحول الى مواقف واضحة لا اضراب فيها، غير ان "ديوي" يلح على اتخاذ الفروض الناجحة كخطة عمل وتطبيقها على الاحوال الراهنة للتوصل الى النتائج المتوقعة، ثم جعلها حلقة اخرى يتم تطبيقها على مواقف تشابها ولكن في ظروف اخرى (أنجرس، دت: ٢٢٩)

٥: تطبيقات المدرسة الديوية:

تعد طريقة المشروع ابرز مثال عن التربية النشيطة التي تعمل على تفعيل قدرات التلاميذ الذهنية والجسمانية باشراكه عماليا في اهم الموضوعات التي تهتم وتهم بيئته ومجتمعه فيدرك ذلك ويعمل على المشكلات التي تتضمنها تلك الموضوعات المثارة من خلال طريقة حل المشكلات التي يتخذها "ديوي" كمهج علمي في التربية بداء بالملاحظة وافتراض الفروض والعمل على التحقق منها اجرائياً. وبالتالي يمكن لطريقة المشروع ترجمة الخطوات العلمية للمنهج التربوي التقدمي، من هنا نأتي الى مفهوم طريقة المشروع ومميزاتها وخصائصها (جديدي، ٢٠٠٩: ٢٥١)

أ: مفهوم طريقة المشروع: "project method"

تأسست طريقة المشروع على افكار "جون ديوي"، ويقصد بها ان يترك المتعلمون امام موضوعات لدراستها من عدة جوانب يكون الهدف منه بلورة مشكلة معينة يشعرون فيها بالرغبة في ايجاد الحلول لها صلة بحياتهم الاجتماعية، ويقوم المربي بتوفير الظروف التي تسمح للمتعلمين من التفاعل الحر مع تلك الموضوعات، سواء كان العمل فرديا او جماعيا، اي ان العمل التربوي ينطلق من داخل المتعلم ويتجه الى الخارج ويرتبط بقضايا حياته اليومية عكس ما كان في الطرق التقليدية، وقد اشار "ديوي" الى ذلك في قوله: "واننا تأملنا الطرق التي ندرك بها النجاح دائما في التربية المدرسية سواء كان ذلك في الحساب ام تعلم القراءة ام درس الجغرافيا ام الفيزياء ام اللغة الاجنبية، لبان لنا ان كفاية هذه الطرق ناشئة من رجوعنا الى ذلك النوع من الازواضع التي تثير التفكير في الحياة اللا مدرسية".

ب: مميزات طريقة المشروع

- تعتمد طريقة المشروع على توفر العديد من المميزات والخصائص نذكر منها:
١. **وجود الغرض او الهدف:** تعني ان يتضمن المشروع موضوعا تدعوا اليه الحاجة ويكون في كل عمل يتم اشتراك المتعلم فيه، فمن دون الهدف لا يكون المشروع المختار سليما، لان شعور المتعلم بالغاية من كل عمل يشترك فيه يجعله يوظف كل قواه ومواهبه الطبيعية وخبراته المكتسبة اتجاهه.
 ٢. **الاهتمام والميل:** يعتبر "جون ديوي" ان الميل والاهتمام هدفين تربويين اساسيين في التربية التقدمية يمثلان منبع كل الموضوعات الدراسية، اذ يبحث المربي على الاعمال التي تثير اهتمام المتعلم وتشده اليها، وعند ذلك يمكن للتلميذ وبصورة طبيعية تسخير قدراته وقواه العقلية والجسمية اثناء تفاعله مع تلك الموضوعات؛ ويعتبر "ديوي" هذه هي ميزه الموضوعات الدراسية والمناهج التربوية التقدمية. وعلى هذا المنوال سار تلميذه "كلباترك" واعتبر ان اختبار المشروع الناجح يرتبط بصفة يعتبرها جوهرية والمتمثلة في التلميذ بالمشروع المختار وميله نحوه، ذلك الذي يقود دوافعه حتى يستمر في العمل في هذا المشروع حتى الانتهاء منه وفقا للخطة الموضوعية لهذا المشروع.
 ٣. **الصفة الاجتماعية:** ان الشيء المؤكد في التربية التقدمية هو طابعها الاجتماعي حيث انتهت ثورة "جون ديوي" على النمط الكلاسيكي في التربية الى اعتبار ان التربية تبدأ من المجتمع وتعود اليه. وكان اشراك التلميذ في المشروع شرطاً تربوياً على كل مربي لأن التلميذ لا يتعلم بمفرده بعيداً عن افراد الفصل. المشروع الذي ينطلق من اهتمامات المتعلم يعبر عن علاقاته الانسانية والاجتماعية بينه وبين بقية التلاميذ؛ كما يمتد النشاط الذي يمثل المشروع الى خارج المدرسة اي الى البيئة المحيطة وهنا يجيب ان نبين بان المربي لا يمكنه ان يضع المشكلات التي تمثل انطلاقه كمل نشاط تربوي دون اثاره اهتمام بالمشكلات التي تحويها البيئة الخارجية لأن الفرد في مشاركته الجماعية يدرك تمام الادراك ان نشاطه مرتبط بنشاط غيره ويسعى بذلك لتكيف نشاطه وفق معايير ومقاييس اجتماعية، وهذا ما ينبغي ان ينتبه له المربيون اثناء تقديمهم للموضوعات الدراسية (ديوي، ١٩٤٧: ١٨٢)

ج: خطوات طريقة المشروع

تمر طريقة المشروع بخطوات مترابطة فيما بينها، يتطلب تجسيد كل خطوة منها الاهتمام الخاص من قبل المدرس والتلميذ في نفس الوقت. وتتمثل تلك الخطوات في: (اختيار المشروع، وضع خطة المشروع، تنفيذ المشروع، الحكم على المشروع).

١. **اختيار المشروع:** ان اختيار المشروعات والذي يعني تحديد الموضوع ليس بالامر البسيط بل هو اهم خطوة ينبغي ان يتم الوقوف عندها بتدبر عقلي متميز من طرق المربين، لان نجاحها يتوقف على سلامة الاختيار الذي بدوره يعبر عن التفكير السليم ويمهد السبيل الى النجاح ويساهم في تنمية الخبرة على اكمل وجه. وبالتالي يتم اختيار المشروع من واقع المتعلمين ومن المشكلات التي يحسون بها والتي تستهويهم وتثيرهم، وهذا الذي ينبغي ان يتدبره المربي وينتبه اليه بخلق وضع من الواقع يبعث على الشك والاشكال من خلال الاتصال بالخبرة ليعطي استجابات ناجحة والتي توضع في خدمة المتعلمين.

٢. **وضع خطة المشروع:** بعد اختيار المشروع لابد من مناقشته مع تحديد الانشطة الفردية والاجتماعية التي تناسبه وتكون في مستوى ميولات المتعلمين ويستطيعون القيام بها. ذلك الذي اشار اليه "ديوي" في قوله: "وكل درس توضع خطته على اعتبار انه خبرة مميزة قائمة بذاتها لها هدف مرسوم، تشوق الطفل، وتجعلها محببة الى نفسه".

تحديد المهارات اللازمة للمشروع وذلك من خلال الخبرة التي يحملها المربي حيث تتجلى وظيفته في التربية التقدمية من خلال احسن الظروف للتعلم وانتقاء افضل الخبرات المناسبة للتعلم؛ فهو الذي يكون فاهما لحاجات التلاميذ واهتماماتهم حيث يتدبر الاهداف ويختار الوسائل التي تجعلهم يعتكفون على الاعمال ليكتسبوا المهارات المناسبة التي تشعرهم بالارتياح وينمي قدراتهم. لابد من مناقشة العوائق والصعوبات التي قد يواجهها المتعلمون اثناء العمل من خلال التوقعات التي يفترض ان يلم بها المربي بحكم خبرته.

يجب على المربي اثناء وضع خطة المشروع ان يضع نصب عينيه تنمية التلاميذ على تقبل اراء الآخرين واحترامها في مقدمة الاهداف المرجوة من كل مشروع مهما كانت طبيعته، من خلال التخطيط الذي يقوم على ممارس حقوق ابداء الرأي والدفاع عنه وتقبل من الآخرين وتقديم النقد البناء لكل فكرة او ممارسة يرونها قابلة للنقاش، وعدم التعصب للرأي حتى يكتسب

المتعلمين الاسس الديمقراطية، لأن الهدف الذي رسمه "جون ديوي" من كل تربية تقدمية هو خلق مجتمع ديمقراطي؛ ولهذا يكون المشروع كطريقة هو سبيل للحياة الديمقراطية لأنه يربط المتعلم ببيئته (ناصر، ٢٠٠١: ٣٦٠)

٣. **تنفيذ الخطة:** تعتبر خطوة التنفيذ او التطبيق هي الخطوة التي تأخذ بالمشروع من المستوى النظري الى التطبيق العملي؛ انها خطوة النشاط الفعلي التي يكتسب اثناءها المتعلمون الخبرات وتنمو فيها مهاراتهم ويقبل كل متعلم الى العمل الذي تم اختياره بنفسه في الخطوة السابقة، فالسماح للتلميذ بممارسة العمل داخل المدرسة عن طريق الاشغال اليدوية يعتبرنا عوناً كبيراً له ويتم ذلك تحت اشراف المعلم الذي ينبغي عليه ان يبقى مراقباً لأعمال تلاميذه محتفظاً باهتماماتهم بصفة مستمرة (التومي، ٢٠١١: ١٠٣).

وما يبديه المتعلمون من مهارات اثناء اعمالهم يجب ان يدونها المدرس، واما الاخطاء التي قد يقعون فيها يجب الاشارة اليها قصد تنبيههم فقط وهم يعملون بأنفسهم على تجاوزها، لأن الصواب الذي يأتي بعد الخطأ يكسب الخبرة الصحيحة ويثبتها وتستمر العملية بنفس الطريقة مع كل الافواج. كما يمكن للمربي اثناء النشاط ان يعلم التلاميذ بعض الفضائل الاخلاقية والاجتماعية التي تنمي فيهم روح المسؤولية والديمقراطية والتعاون، مع الالتزام بما تم وضعه في الخطة السابقة لتنفيذ المشروع، لأنها تعبر فعلاً عن انشغالهم ولا يجب التغير فيها الا عند الضرورة التي تقتضي تعديل بعض العناصر وبناء على ميولات المتعلمين (الخوري، ١٩٦٤: ١٦٥)

٤. **الحكم على المشروع (التقديم):** هي خطوة ينبغي لها ان تساير كل مراحل العمل التربوي، باعتبارها عملية مستمرة تسمح بمعرفة الاخطاء التي يتم الوقوع فيها والتي تقتضي معالجات فردية لضمان أكبر قدر من فرص النجاح. فتقييم الخبرات التي اكتسبها المتعلمون والمرتبطة بالمهارات المتحصل عليها او الخبرات الاخرى المستعملة والناجمة عن الاطلاع على اعمال الآخرين والوقوف على الصعوبات التي صادفت المتعلمين اثناء قيامهم بأعمالهم في كل مرحلة من مراحل المشروع وعرض الطرق التي تم اتباعها لتجاوزها، وكذا مدى نجاح تلك الطرق او فشلها (ابراهيم، ٢٠٠٢: ١٦٧)

نقد وتقويم

سيتم في هذا المبحث الحديث على اهم الانتقادات التي وجهت لجون ديوي في فلسفته التربوية. وتتمثل في ما يلي:

جعل التربية اداة في سبيل المنفعة وبالتالي لم يكن يضع في اهتمامه لقضايا التي ليست لها نتائج عملية واستبعادها من دائرة القضايا الصحيحة، واما رفضه لكل المحاولات التي تهدف الى اكتشاف نظام ازلي بعيدا عن الاحداث المتغيرة التي تشكل الخبرة فهو رفضه للمطلق والازلي والحقيقة الثابتة الفارغة غير انه عاش كثيرا متأثر بفلسفة "هيغل" المثالية المطلقة؛ فنظريته الفلسفية لا تركز وعلى الجانب الروحي في الانسان وتبالغ في الاهتمام بما هو مادي في الحياة والكون وتتنظر للانسان على انه قابل للتجريب كما لو كان شيئاً، فإذا كانت التربية عند "ديوي" هي الفلسفة وهي اساس مذهبه، فهو يرفض ان تكون التربية علما بتراث الماضي او اعداد المستقبل ويأبي ان يخضعها لأي شيء خارجي سوء الخبرة ذاتها التي يكسبها المرء بنفسه وتتراكم معه في خبرات مستقبلية، غير ان هذا التصور لا علاقة له بالواقع في شيء، ذلك ان تراث الماضي هو جزء من شخصية الفرد (عبد الرحمن، ٢٠٠٢: ١٢٣)

اضافة الى ذلك فقد انتقد على فلسفة "ديوي" التربوية اعتبارها للعملية التربوية على انها مرادفة لعملية الحياة نفسها وقولها بأنه ليس للتربية اهداف خارجة عن تحقيق التربية نفسها، ومناداتها بتربية شخصية الطفل ككل، وفي هذا توسيع لمسؤوليات المدرسة بما قد يجعلها تعتدي على مسؤوليات غيرها من المؤسسات التربوية والاجتماعية وبما قد يجعلها ايضا غير قادرة على الابقاء بمسؤولياتها على الوجه الاكمل (عبد الرحمن، ٢٠٠٢: ١٢٤)

وفي هذا ايضا اضعاف للجانب العقلي الذي يجب ان ينال في نظر المحافظين العناية الكبرى من المدرسة. كما اخذ عليها ايضا مبالغتها في تأكيد ميول التلاميذ وحاجاتهم الحاضرة كأساس لاختيار المعارف والخبرات المدرسية وتنظيمها، ومبالغتها في تأكيد وحدة المعرفة لدرجة تقلل من شأن الترتيب المنطقي للخبرات المدرسية ومن قيمة تقسيم المعرفة الى فروع ومواد مختلفة ومن قيمة التخصص الذي اصبح احد متطلبات العصر (الشيباني، ١٩٧١: ٣٦٨)

ان اعتبار جون ديوي الخبرة هي وحدها المربية يعد امرا عرضيا، فالطفل لا يربي نفسه بنفسه بل يربي ويعد ليكون فردا صالحا مع الاخذ بعين الاعتبار نفسيته ورغباته وحاجاته،

رغم اهمية توجيه الاهتمام الى نفسية الطفل وهي من الامور التي تحمد ل"ديوي"، والتي كان لها الاثر الكبير في التربية في جميع انحاء العالم. ولهذا يجب ان تستلزم التربية اعادة بناء الخبرة لا يمكنها التخلي على هذه الخاصية، وافترضه ان التربية هي النمو والنمو هو غايتها وليس لها غاية اخرى، ففي هذا الافتراض شي من الاوهام، لان الطفل يتعلم في المدرسة، والمدرسة جزء من المجتمع بل من الدولة التي تخضع لسياسة معينة وفلسفة خاصة، ولا حيلة للمتعلم الا ان يسير في تيار الفلسفة التي توجهها الدولة، وهذا هو سبب اختلاف التربية بين الدول لاختلاف انظمتها وسياستها، فالاطفال لا يضعون تلك المذاهب وانما ينشؤون عليها. لقد اهمل "جون ديوي" الجانب السيكولوجي عند الطفل في التربية وركز على الجانب العملي والنفعي، اي ما ينفع هو خير وما لا ينفع فهو شر، رغم اشارته لأهمية الجانب النفسي (الشيباني، ١٩٧١: ٣٦٩)

ان ما قدمه "ديوي" في التربية ما هو الا تعبيراً عن واقع المجتمع الامريكي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي دون مراعاة القيم الاجتماعية الاخرى والانظمة السياسية التي تخالف التوجه الرأسمالي؛ وعلى الرغم من ذلك فإن اغلب الانتقادات التي واجهت افكاره التربوية برزت بشكل مباشر في الولايات المتحدة الامريكية (الشريف، ٢٠٠٨: ١١٥).

ففي مطلع السبعينات من القرن العشرين، بدا الامريكيون يفكرون تفكيراً ما نصت عليه التربية الديوية التي جاء بها "ديوي". ومثلما ثار هو على التربية التقليدية بحجة الجمود والعقم، كانت ثورة بعض رجال التربية الامريكيين عليه بحجة ان التربية الديوية قتلت الثوابت وازالت القيم والتي لم يصبح لها اي معنى في المجتمع الامريكي، فهي تنكر القيم الثابتة والتي تعتبر معايير خلقية اساسية لكل مجتمع، بل وتم استغلال مبادئ الحرية والديمقراطية استغلال سيئاً حتى اثر ذلك على الجانب الثقافي للمتعلمين، وبهذا توجهت النظرة الى اعتبار التربية تقوية للعقل على تكوين ثقافة داخلية خاصة به (رشوان، ١٩٨٤: ٢٢٨).

الاستنتاجات

١. ان نظرة جون ديوي للتربية هي نظرتة الفلسفية ونظرتة الفلسفية تكشف، عن رفضه للفلسفات التربوية التقليدية المحكومة بالنظرة الاحادية والسكونية التي تؤمن بالثبات وتعتمد على التوجيه والتسلط، هذا الرفض يكشف عن تميز فلسفته التربوية بالتغير والتجدد والاستمرارية، وما يؤكد ذلك هو عدم تفريقه بين الفلسفة والتربية وجعله كل منهما في حركة ديناميكية لا يمكنها الوقوف على ثبات.
٢. استنتج، ان جون ديوي يراعي الجوانب الموضوعية في تقديم الانشطة التربوية التي تشكل اسلوب التعليم بالعمل فقدم الخطوط العريضة لمنهجه مستندا على خطوات منهجه المنطقي الذي يرتبط بالتفكير الراجح والسليم اذ يقوم منهجه في التعليم على طريقة حل المشكلات التي تتطلق من رضع المتعلم امام المشكلة التي تعترضه ليتفاعل معها لتنمو باحثا عن الحلول.
٣. تمثل الرؤية التربوية عند ديوي ثورة عظيمة من ناحية الافكار والانشطة والعمل وتجسيد فلسفة الادائية، حيث اصبحت الاساليب التربوية الجديدة تتجاوز الجانب المعرفي الذي تحتويه الكتب والمناهج الدراسية، ولم يعد التعليم يتم بالطرق التقليدية، بل يكون بالوسائل العلمية والعملية التي تنتج للمتعلم الاستفادة من الخبرة، وتلك هي الملامح الجديدة التي انتجت فلسفة: ديوي التربوية والتي تركزت على المتعلم الذي اصبح على ضوئها يتقدم كل الموضوعات الدراسية بعدما كانت تتقدمه ويتأخر عليها.
٤. اما فيما يخص المنهج التربوي الجديد وطريقة التربية بالعمل. ففي هذا تعبير عن الجانب النفعي لبراغماتية "ديوي" فان كان منهجه التربوي يجسد منهجه المنطقي من خلال اسلوب حل المشكلات، فان تطبيق ذلك يأخذ طرقا كثيرة ومتنوعة، فطريقة المشروع مثلا والتي وضع قواعدها ديوي وشرح مضامينها فهي طريقة تحقق التربية بالنشاط وتبرز توجهه العلمي والعملية من خلال خطواتها وشروطها، اذ تضع المتعلم في مركز التعليم وتثيره بموضوعات تمثل مواقف اشكالية يعمل على ايجاد حلول لها بما ينمي خبراته بصورة نوعية.

٥. ان البصمات التي تركها "جون ديوي" في التربية هي بصمات خاصة لا يمكن انكارها، وانه من خلال فتحه لمجال البحث الفلسفي في قضايا التربية اثبت بحق الترابط الوثيق بين فلسفته التربوية وآرائه فيها مع منهجه البرغماتي.

٦. ان النتيجة الاساسية التي نخرج بها من برجماتية جون ديوي، انها جاءت مغرقة في (اداتية الافكار)، باعتبارها خطة للعمل، وهذا لا ينصف نشاط الفكر في الكشف عن الماضي او البحث عن الاصول الفلكية مثلا، وهي كلها مشروعات ربما لا يكون لها نتائج، الا من ملئ بعض الثغرات في معرفة الانسان.

Abstract

The educational vision of John Dewey and its relation to the pragmatic approach.

Dr. Mohammed Abdul Mutashar

/ University of Mustansiriya / Faculty of Education

Dewey is an example of the validity of the theory that man is the product of the environment in which he lives. He has gathered from his patriarchal heritage, the territory in which he grew up, the education he received in his modernity, the professors he sought knowledge of, the nation he was a member of, The period in which he was born and grew up in his arms, the philosophical tendencies and the scientific trends that have become stronger and intensified, especially the trend toward industrialization and the subsequent workers' advocacy of their rights and the descent of women into the field of work, and the rapid and consequential change that resulted in society, Religion and art - all these factors contributed to the formation of John Dewey was the result of this cultural and civilizational environment.

One of the factors that influenced Dewey was the ideas of philosophers, scientists and educators who contacted them personally or through their writings. One of the most prominent contacts was influenced by their ideas: George Morris, one of his professors of philosophy, and then a fellow of teaching at the University of Michigan. (1809-1882), Thomas Haxley (1825-1895), and others, became a favorite of her on the philosophy of Hegelian, because they agree with his experimental scientific tendencies, but that did not He traces the impact of ideal philosophy. His own specific philosophy (exemplary empirical philosophy) is clearly evident.

He also influenced the ideas of Charles Pierce and William James, who were credited with establishing pragmatism in the United States, Stanley Hall's ideas, and some ideas: Russo, Bastalutzi, Herbert, and Noble, and other modern educators and psychologists.

The research consists of three main chapters:

The first chapter: consists of two topics: the first topic: the vision of Dewey for education, the second topic: the most important philosophical rules and logical foundations that helped him in the formation of educational vision.

The second chapter deals with the relationship of his views with the pragmatic approach and consists of two subjects as well. The first topic is the school of the parents and the most important of its educational curricula. The second topic is criticism and evaluation.

The third chapter deals with the most important conclusions of the researcher.

The current research aims to identify the educational vision and its relation to the pragmatic approach of John Dewey. The researcher used the analytical descriptive method to suit the current research requirements.

المصادر

- القران الكريم.
- ابراهيم ناصر، فلسفات التربية، ط١، عمان : الاردن، دار، وائل، ٢٠٠١م.
- أحمد محمد الطيب، أصول التربية، د.ط، الازاربطة، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، دت.
- افلاطون، جمهورية افلاطون، ترجمة: فؤاد زكريا، د.ط،: الاسكندرية، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.
- أنطوان الخوري، اعلام التربية (حياتهم آثارهم)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤م.
- توفيق الطويل، اسس الفلسفة، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، دت.
- جون ديوي وأفلين ديوي، مدارس المستقبل، ترجمة: عبد الفتاح المنيأوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م.
- جون ديوي، البحث عن اليقين، ترجمة: محمد فؤاد الالهواني، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٠م.
- جون ديوي، الحرية والثقافة، ترجمة: امين مرسي قنديل، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٥م.
- جون ديوي، الخبرة والتربية، ترجمة: محمد بسيوني ويوسف الحمادي، مصر، دار المعارف، ١٩٥٤م.
- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ط٢، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٥٦م.

- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة: أحمد حسن الرحيم، ط٢، بيروت لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م.
- جون ديوي، تجديد في الفلسفة، ترجمة: امين مرسي قنديل، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٤٧م.
- زكريا ابراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، ج١، ١٩٨٦م.
- زكريا اسماعيل، ابو الضبغات، الديمقراطية وفلسفة التربية، ط١، الاردن، دار الفكر ناشرون وموزعون، ٢٠٠٩م.
- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥م.
- سعيد مرسي احمد، تطور الفكر التربوي، ط١، القاهرة، عالم الكتب، دت.
- شبل بدران واحمد الفاروق، اسس التربية، ط٣، الاردن، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.
- عبد الرازي ابراهيم ومحمد عبد الرحمن، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م.
- عبد القادر التومي، اعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث، ط١، الجزائر، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ٢٠١١م.
- عبد المجيد عبد الرحيم، التربية والحضارة، ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م.
- عمر محمد الشيباني، تطور النظريات والافكار التربوية، ط٣، بيروت لبنان، دار الثقافة، ١٩٧١م.
- فريدة غيوة، اتجاهات وشخصيات الفلسفة المعاصرة، عين مليلة، الجزائر، دت.
- فؤاد زكريا، اعلام الفكر التربوي المعاصر، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣م.
- كوثر عبد الرحيم الشريف، المنهج البرغماتي والتطبيق التربوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٨م.
- محروس السيد مرسي، التربية والطبيعة الانسانية في الفكر الاسلامي وبعض الفلسفات الغربية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٨م.

- محمد جديدي، فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجاً، ط١، الاردن: دار الفكر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
- محمد مهران رشوان، مدخل الى دراسة الفلسفة المعاصرة، ط٢، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- موريس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة: بو زيد صحراوي، الجزائر، دار القصبية للنشر، دت.